***المحاضرتان 2\*3/ اللسانيات العربية النشأة والتطور***

تاريخ الفكر اللساني عند العرب إن تاريخَ جميع الأمم السابقة غنيٌّ وحافلٌ بالكثير من الدراسات اللغوية والتي تبحثُ في الظواهر اللغوية من جميع جوانبها، الصوتية والتركيبية والدلالية، ثمَّ تبحثُ علاقة هذه المكونات اللغوية بالعالم الذي يحيطُ بالإنسان، فاللغةُ قبل كل شيءٍ ظاهرةٌ فيزيولوجية إنسانيَّة لاحظها الإنسان منذ أن وجدَ على سطح هذه الأرض، وقد حاول منذ بداياته سبرَ أغوار هذه اللغات وما زال يحاول ذلك حتَّى الآن، ولذلكَ فإنَّ التاريخ الإنساني كلَّه بغضِّ النظر عن جنس الإنسان وعرقه وأصله ولغته مليءٌ بالدراسات التي تناولت مواضيع الظواهر اللغوية.

وكان العرب مثل بقيَّة الأمم؛ فقد حاولوا سَبرَ أغوار لغتهم وإنَّ ما أنجزه العرب في مجال الدراسات الصوتية واللسانية بدءًا من القرن السابع الميلادي من تقسيم للأصوات وتصنيفها ووصفها بحسب خصائصها وسماتها وكلُّ ذلك هيأ لتشكُّل الصوتيات الحديثة التي صاغها الأوربيون فيما بعد، وقد رأى العرب أنَّ للظاهرة اللغوية وارتباطاتها بالإنسان بعدين: البعد الأول كونيٌّ لأنَّ الحدث اللساني وجود مطلق ملازم للوجود البشري مجردٌ عن الزمان والمكان وتنوع الألسنة واختلاف اللغات، أما البعد الثاني فهو بيولوجيٌّ يتمثل في تجهُّز الإنسان واستعداده الخلقي لإتمام هذه الظاهرة اللغوية. وقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: " إنَّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع الكلام وقام في عقولها علله". وقد جاء الاهتمام بالبحوث الصوتيّة واللسانيّة عند العرب نتيجة لجهود العلماء القدماء في ضبط تلاوة القرآن الكَريم وحسنِ أدائه، يضاف إلى ذلك أنَّ الصوت والصوت الوظيفي (الفونام) يأخذان في اللغة العربيَّة وفي القرآن الكريم قيمةٌ فنيَّةٌ خاصة تمثَّلت من خلال المعايير التي وُضعت لضبطِ هذين الجانبين، و إجادة أداء القرآن، ثم إن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أسهمَ بشكلٍ كبير على اجتهَاد اللغويين في معرفةِ و إدراكِ القيمة الصوتيَّة للغةِ العربية للوصول إلى تعليم الأعاجم لغةَ القرآن الكريم، ومن العلماء الذين مهَّدوا لهذا العلم في العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وبعدهم ابن جنِّي وغيرهم.

**عوامل نشأة الدراسات اللغوية عند العرب** من المعلوم أن الحضارة الإسلامية العربية نشأت وتطورت في ظل القرآن الكريم الذي رأى فيه المسلمون الكتاب الذي يتعبد به وينظم شؤون حياتهم بحيث تستقيم مع ما جاء فيه. وقد كانت حركتهم نحو العلم في سبيل فهم النص الكريم والوصول إلى ما يحويه من أحكام يقول الثعالبي"إن من أحب الله أحب رسوله... ومن أحب النبي ... أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم و العرب ...إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش ...ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على معانيها ومصارفها والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة..." فهذا الارتباط بين الحياة الدنيوية والحياة الدينية هو الذي يوضح لنا نشأة الحياة العلمية للغة العربية و تطورها.ولعل دواعي نشأة الدراسات اللغوية العربية مايلي:
ا/ **العامل الديني**: لقد كانت قراءة القرآن عن طريق التلقي اسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات و كان التفسير بالأثر أسبق من غيره و كان الفقه أسبق من الأصول ومن هذا التطور العام نستطيع تصور تطور الدراسة اللغوية عند العرب فتراها تبدأ بما هو عملي من حيث جمع الألفاظ و ضبطها ثم ّدراسة التراكيب اللغوية قبل الوصول إلى وضع منهج في دراسة اللغة مثلما أصبح الأمر عليه في القرن الرابع

ب/ **عامل اللحن**: وجد اللحن الذي انتشر نتيجة لطبيعة اللغة العربية نفسها فهي لغة معربة مما يجعل اللحن يسرع إليها. ثمّ نتيجة الاختلاط الذي حصل بين العرب و الأعاجم بعد الفتوح انتقال العرب إلى البلاد المفتوحة و اتخذوها مستقرا لهم و ملكهم للكثير من العبيد. كما قدم المسلمون الجدد إلى الحجاز للحج و قضاء شؤونهم في المدينة عاصمة الخلافة فتأقلموا معهم و بدأ اللحن يظهر مبكرا بل أن جذوره تمتد إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد روي أن رجلا لحن بحضرة الرسول فقال صلى الله عليه وسلم "أرشدوا أخاكم" وما أن جاء العصر العباسي حتى وصل اللحن إلى البادية قال الجاحظ: "أول لحن سمع بالبادية هذه عصاتي عوض عصاي و هذا ما دعا علماء اللغة إلى جمعها لحفظها و فهم النص القرآني الكريم"
ج/ **العامل الحضاري** :نشأت العلوم العربية كلها في العهد الأموي والعباسي الأول وقد أثر بعضها في بعض إذ كانت ذات اتصال ببعضها ولم يقع فصلها إلا في العصور اللاحقة ولما انغرست في نفوسهم حب المعرفة فتركوا حقولا أخرى ذات علاقة بالحياة العلمية والفكرية كالطب والفلسفة والكيمياء والفلك...و هذه العلوم أثرت في تطور مناهج العلوم الأخرى كاللغة والنحو .

**النشأة**: بدأ العلماء إذا يضعون القواعد التي تضبط اللغة، والتي تعين على فهمها وآدائها للمعاني، والتي تيسر على الدارسين لها من غير أبنائها طرق تعلمها وإجادتها، بدءوا بالدراسة العميقة والملاحظة الدقيقة، والسماع من العرب الخلص والأخذ عنهم، إلا أن ذلك لم يتهيأ لهم دفعة واحدة وإنما بدأت الدراسة تضع الخطوط العامة لا الفروع الدقيقة غير أن الدافع الديني جعلهم يقبلون على هذا العلم ويفرعون له، ويعطونه من عنايتهم واهتمامهم ما أسرع في نموه، وما هيأ له أن يكتمل وينضج في فترة قصيرة.

\*- فعني المسلمون منذ القرن الأول الهجرة بتدقيق الكتابة العربية وتقييد "الحروف الكتابية" بـ "الشكل" صونا لكلام الله -عز وجل- عن أن يصيبه التحريف

-\*\* وفي هذا الوقت بدأت المحاولات وتوالت للكشف عن القواعد التي يسير عليها الكلام العربي، ولوضع هذه القواعد في قوالب تتخذ للتعليم. ويبرز في هذه المحاولات اسم أبي الأسود الدؤلي، ومن وليه من نحاة البصرة والكوفة إلى أن يأتي الخليل بن أحمد الفراهيدي. وللخليل شأن جليل في كثير من جوانب الدراسات اللغوية، فقد استخرج أوزان الشعر العربي وأحكام قوافيه، وخطا بالمحاولات النحوية والصرفية السابقة خطوات كبارًا تبدو آثارها في كتاب تلميذه سيبويه ووضع -أو الأرجح أنه أوحى بطريقة وضع- أول معجم شامل لمفردات العربية وهو المعروف بـ"العين" وقد شارك الخليل في وصف أصوات اللغة العربية ثم أتى تلميذه سيبويه بوصف لها أدق من وصفه وأكمل.
**ما روي من اللغة**:
 كان العرب يسكنون الجزيرة العربية وجنوبي العراق وقسما من سورية وفلسطين وهذه أراض شاسعة تتفرق فيها القبائل وكانت لغة القبائل تختلف وهذا الاختلاف قد يكون في الكلمات فالبعض من القبائل تستعمل كلمة " بُرْ " وأخرى قمح وقد يكون الاختلاف في الحركات فبعض القبائل كانت تفتح حرف مضارعة فتقول " نِستعين " وبعض القبائل الأخرى تكسرها مثل قبيلة أسد فتقول " نِستعين " ومن نتائج هذا الاختلاف اختلاف القراءات. كما كانت توجد لهجات مختلفة إلى جانب هذا الاختلاف.
**مصادر جمع اللغة** : تحرى علماء اللغة الأوائل في جمعها كل التحري فلم يأخذوها عن جميع العرب حيثما وجدوا بل جعلوا لذلك مقياسا طبقوه بكل حزم وهو الرواية عن القبائل التي بعدت إقامتها عن الأعاجم فلم يخالط لغتها دخيل قال الفارابي: " إن الذين عنهم نقلت اللغة العربية... قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة ولم يأخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم " وقال أبو عمر بن علاء: " أفصح العرب عُليا هوازن وسفلى تميم" وجميع هذه القبائل تسكن الصحراء بعيدا عن اختلاط الأعاجم. وبعض القبائل الأخرى لم يأخذ عنهم شيئا مثل لخم وجذام وقضاعة وغسان وتغلب لقربها من الفرس والروم وكذلك سكان اليمامة وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن.
 وكان العلماء يخرجون إلى البادية ويقضون مدة قد تطول إلى أعوام يعيشون مع الأعراب يسمعون منهم ويدونون واستمر ذلك الأمر حتى العصر الأموي إلى العصر العباسي الأول كما كانوا يجمعون إلى جانب اللغة الشعر الجاهلي والإسلامي الموثوق من صحته وكان ذلك كمصدر من مصادر اللغة في مرحلتها الأولى.
**طريقة جمع اللغة ومراحلها**: وقد مرت بثلاث مراحل
1/ جمع الكلمات دون ترتيب: بدأ جمع كلمات اللغة دون نظام معين ذلك أن الباحث كان يرحل إلى البادية فيجمع كلمات اللغة المتنوعة و يسجلها دون ترتيب. وتجدر الإشارة إلى أن اللغويين رتبوا ما ورد في اللغة ترتيب الحديث فقالوا فصيح وأفصح وجيد وأجود وضعيف ومنكر ومتروك. كما قالوا أن اللغة التي وردت في القرآن أفصح مما جاء في غيره. كما عدلوا الرواة وجرحوهم كما فعل علماء الحديث فعدلوا الخليل وجرحوا قطربا لكذبه.
2/ جمع الكلمات التي لها نفس الموضوع:
أي جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد. وسبب ذلك أنهم رأوا كلمات متضاربة المعنى فأرادوا تحديد معانيها وهو ما جعلهم يجمعونها في موضع واحد كقولهم " القد طولا والقط عرضا" أو رأوا كلمة واحدة وضعت لمعان مختلفة كقول الأصمعي: " العين مطر أيام لا تقلع. والعين عين الميزان. والعين عين النفس. وينظر إليه فيصيبه بعين" كما ألفت عدة كتب تناول كل كتاب منها موضوعا واحدا مثلما فعله أبو زيد الأنصاري الذي ألف كتابا في المطر وأخر في اللبن.
3/ وضع معاجم اللغوية لكل الكلمات:
لقد وقعت هذه المرحلة حتى يتسنى للدارسين ومن يهمه الأمر الرجوع إليها والبحث عن الكلمات. وهذه المراحل ليست مستقلة عن بعضها وإنما هي متداخلة. كما وجدت دراسات أخرى مختلفة تدور حول القرآن الكريم والسنة النبوية الفت فيها الكتب والرسائل مثل غريب القرآن وغريب الحديث معاجم الفقه والمعرب و لحن العامة وكتب الهمزة وكتب للحيوان وكتب النوادر وكتب البلدان .. إلا أن أغلب هذه الدراسات قد وجدت بعد نشأة الدراسات اللغوية وظهور أول معجم متكامل وهو كتاب العين وقليل منها وجد قبله.

- ثم كان كتاب سيبويه أقدم كتاب وصلنا في النحو العربي والذي اتخذ أساسًا لما وليه من دراسات نحوية، ولقد امتزج النحو بالدراسات اللغوية، فقد كان مزيجًا من النحو والصرف واللغة والأدب وما إلى ذلك من علوم اللغة العربية؛ لأن هذه الفروع كانت متداخلة آخذًا بعضها بحجز بعض لقرب الوشيجة بينها في الغرض والمقصد، فكان الأديب حينذاك نحويًّا صرفيًّا لغويًّا، والنحويّ أديبًا صرفيًّا وهكذا، وكان ذلك في الطور الأول:

**طور الوضع والتكوين** وهو الذي بدأ بأبي الأسود وانتهى إلى أول عصر الخليل بن أحمد، ولقد أخذت هذه الفروع تمتاز بعضها من بعض في البحث والتدوين من أوائل الطور الثاني تدريجيًّا حتى اشتهر بعض العلماء بالنحو وأشير إلى آخر باللغة ودواليك.

فكان البحث في النحو في الأدوار الأولى للثقافة العربية ممتزجًا باللغة والأدب، وكان كذلك يمتزج بعلم القراءات في معظم الأحوال، فكان كثير من العلماء تشمل ثقافتهم وبحوثهم هذه الفروع الأربعة ثم اقتضت طبيعة التدرج والتعمق في البحث أن تستقل هذه الفروع بعضها عن البعض الآخر.ويقول الشيخ محمد الطنطاوي: "نعم قد تقلص عن كتب النحو من أوائل هذا الطور -الطور الثاني- ما لا يتصل به هذا الاتصال الوثيق كمباحث اللغة والأدب والأخبار على أن الخليل وهو غرة جبين هذا الطور قد جمع اللغة والنحو فإنه ذكر في كتاب العين مقدارًا كبيرًا من النحو بجانب اللغة".

-وكما سبق وان عرفنا كيف كانت عناية علماء العربية بمفردات الكلام العربي -وكانوا يسمون هذا "علم اللغة"- عناية بالغة منذ القرن الأول للهجرة وظلت هذه العناية متواصلة، فكان جمع المفردات الخاصة بموضوع معين، ككتاب الشجر أو المطر إلخ، أو جمع المفردات الغريبة كغريب القرآن، وغريب الحديث، وحوشى الكلام أو جمع "الأضداد" أو التأليف في "الترادف" والاشتراك اللفظي

ا. وعني العرب من قديم ببيان الكلمات الأعجمية الأصل الدخيلة على الكلام العربي، ونصوا على ما في لغة القرآن الكريم من الأعجمي، ولهم في "المعرب" تصانيف كثيرة من أشهرها كتاب المعرب للجواليقي، ومن عنايتهم بمفردات اللغة تأليفهم في مصطلح العلوم والفنون

ب. ثم بلغ التأليف اللغوي القمة عندما صنف العلماء المعجمات التي تشمل أكبر عدد من مفردات اللغة على ترتيب خاص مصحوبة بشرح المعنى، وكان القرن الأول للهجرة بداءة التأليف اللغوي، وفي القرن الثاني بدئ بتأليف المعجمات.
- وعني علماء العربية بالبحث في أسباب فصاحة "الكلمة" وبلاغة الكلام إلخ.وقد اتصلت البلاغة بالمنطق كما اتصل النحو به أيضًا ولذلك أصابها العقم لما غلبه عليها الاتجاه المنطقي الفلسفي.

اللغة العربيّة: مرّت اللغة العربيّة في أدوار كغيرها من اللغات، فتغيّرت ألفاظها بما طرأ عليها من النحت والقلب والإبدال، وما داخلها من لغات الأعاجم بسبب الفتوحات واختلاط العرب بغيرهم من الأمم. ولم يكن في استطاعة المؤرّخين بيانُ الحال التي كانت عليها اللغة العربيّة في الأدوار التي مرّت بها قبل الإسلام؛ بسبب تعذّر العثور على أمثلة مدوّنة يُرجَع إليها ويُقاس عليها، على أنه مهما يكن من اللغة العربيّة وغموض تاريخها القديم فقد عرفناها عند انبلاج نور الإسلام ناضجة بالغة منتهى الفصاحة والبلاغة في ألفاظها ومعانيها؛ فهي من أغنى لغات العالم، وقد وُضع فيها لكلّ مسمّى أسماء عديدة، وجعل لكلّ فعل فروع ومشتقّات كثيرة.

ومن الروايات التي تقول إنّ علم النحو كان على أيّام الدؤلي كان يسمّى علمَ العربيّة، فيقول ابن سلام في الطبقات: "وكان أوّل من استنّ العربيّة وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي".

من علماء النحو - : نصر بن عاصم (ت 89ه( - عيسى بن عمر الثقفي (ت149هـ) -أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ)- الأخفش الأكبر أبو الخطاب (ت 177هـ) - [الخليل](https://www.alukah.net/culture/0/69395) (ت 175 هـ(

-[سيبويه](https://www.alukah.net/literature_language/0/37164)) ت 202 هـ) وكتابه "[الكتاب](https://www.alukah.net/culture/0/65611)" هو أوّل عمل نحْويّ جمع بين دفّتيه كلّ ما وصل إليه من جهود النحاة السابقين من أبي الأسود الدؤلي إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ إذ يقول ابن خلدون "إنّ [سيبويهِ](https://www.alukah.net/fatawa_counsels/0/14755) قد أخذ صناعة النحو عن الخليل، فكمّل تفريعاتها واستكثر من أدلّتها وشواهدها، ووضع في كتابه المشهور الذي صار إمامًا لكلّ ما كتب من بعده.

7- [الأخفش](https://www.alukah.net/literature_language/0/1871) سعيد بن مسعدة (ت 215هـ( كل الذين ذكرناهم من البصريين

ومن الكوفيين:- معاذ الهرّاء (ت 187هـ(, - الكسائي (ت 189 ه), خلف الاحمر (ت194 ه)

- الفرّاء (ت 207 هـ( - اللحياني (ت 220 هـ) - ثعلب (ت 291 هـ)

ثمّ لأمر منهجيّ استلّ العلماء من كتب النحو المباحث التي لها صلة بالصّرْف وبوّبوها ونظّموها، ولعلّ الذي جعل الصرف علمًا من علوم العربية المستقلّة هو المازني (ت 249 هـ)؛ فهو رأى أنّ سيبويه قد حاز قصب السبق في وضع علم النحو، وأن على العلماء أن يتفرّغوا لعلوم أخرى، فهو يقول: "من أراد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النحو بعد سيبويه فلْيستحْيِ"، ومع أنّ كتابه صغير فإنّه جامع لعلم التصريف، ويعدّ أصلًا في موضوعه ككتاب سيبويهِ، فكلّ منهما أصل في موضوعه: الأوّل في التصريف، والثاني في النحو. ووضع ابن جنّي كتابًا خاصًّا في أصول التصريف سمّاه التصريف الملوكيّ، الذي لقي اهتمامَ بعضِ العلماء، الذين شرحوه، منهم: أبو القاسم الثمانيني (ت 442 هـ) وابن يعيش (ت 643 هـ).

ومن أشهر المؤلّفات في علم الصرف:

- نزهة الطرف في علم الصرف لأبي الفضل الميدانيّ (ت 518 هـ)

- الشافية في التصريف لابن الحاجب (ت 646 هـ(

- العزّي في التصريف لعزّ الدين الزنجاني المعروف بالعزّي (ت655 هـ(

- شرح الشافية لرضيّ الدين الإستراباذي (ت686 هـ(

- عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب لابن هشام (762 هـ(

- التعريف في نظم التصريف لمحمد بير عليّ المعروف ببيركليّ (ت 981 هـ(

ويتوالى التأليف في علم التصريف إلى يومنا هذا بوصفه علمًا متميّزًا ومنفصلًا بمنهجه ومسائله وقضاياه؛ حتّى أصبح قسيمًا للنحو وليس قسمًا منه.

**علم الأصوات**:

كان الجانب النطقيّ من أهمّ وسائل حفظ القران الكريم، فوصف المتخصّصون من العلماء الأقدمين قواعدَ لدراسة اللغة العربية، فوصفوا مخارج الأصوات وصفًا دقيقًا، وتحدّثوا عن صفات الأصوات، فنشأ (علم التجويد)؛ فكان هذا المبدأ السبب الأبرز في اهتمام علماء العربية في دراسة الأصوات، فألّفوا فيها الكتب والمصنّفات. ولعلّ ارتباط دراسة الأصوات بالقرآن الكريم، لا سيّما تجويده وتلاوته التي تستند إلى النطق الصحيح للأصوات وضبط مخارجها وصفاتها، هو الذي يقود إلى القول إنّ علمَ الأصواتِ قد ارتبط بعلم التجويد. غير أنّ علم التجويد من حيث هو علم يعنى بدراسة مخارج الأصوات وصفاتها، وما يترتّب على ذلك من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق ظهر في حدود القرن الرابع الهجري، فلم يُعْرَف كتاب ألّف في هذا العلم قبل ذلك القرن.

إنّ أوّل فكر صوتي وصل إلينا عن علماء العربيّة يتجلّى في محاولة أبي الأسود الدؤلي وضْعَ رموز لقسم مهمّ من الأصوات اللغوية، وقد أحسّ أنّ من أسباب الخطأ في القرآن الكريم، بعد فساد السليقة وشيوع اللحن، غياب تلك الرموز الدالة على الحركات، فقد سجّل النطق السليم لكتاب الله، فيأتي بكاتب ويضع أمامه المصحف، ويقول: إذا رأيتني أفتح فمي بالحرف فانقط واحد فوقه، وإذا رأتني أضمّه فانقط واحدة بين يديه، وإن رأيتني أكسره فاجعل النقطة من تحته، وإن اتّبعت شيئًا من هذه الحركات غنّة فاجعل النقطة نقطتين.

ومهما يكن من أمرٍ، فقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي من أوائل العلماء العرب الذين عنوا بدراسة الأصوات اللغويّة، فألّف معجم العين الذي بثّ فيه آراءه الصوتية في مخارج الأصوات وصفاتها، فسمّاه (العين)؛ لأنّه بدأ بصوت العين. وفي مقدّمته الموجزة  نجد أوّل مادّة صوتية تدلّ على أصالة علم، فهو صاحب أوّل دراسة صوتية منهجية في تاريخ الفكر الصوتي عند العرب، حتّى إنه قد قلّ أن تجد قضيّة صوتية في العربيّة لم يتحدّث عنها الخليل، أو لم يشر إليها، وقد وصل إلى تلك المعارف بجهده الخاصّ، واصطناعه المنهجّ العلميّ القائم على البحث والاستقراء والتجربة والملاحظة.

تابعه في ذلك تلميذه سيبويهِ؛ إذ إنه استلهم أفكار الخليل وصاغها بصورة تتّسم بالشمول والدقة، فكان دقيقًا في تحليلاته وتقسيماته لصفات الأصوات ومخارجها؛ فضلًا عن الظواهر الصوتية التي درسها دراسة واعية تنمّ عن إدراك عميق لأسباب تلك الظواهر وأبعادها الصوتية.

ويمكن أن نعدّ ابن جنّيّ من أبرز العلماء الذين استطاعوا أن يستوعبوا نتاج الخليل وسيبويه، فوضع ما يشبه نظريّة الصوت اللغوي عند العرب، فأفرد كتابًا خاصًّا بالأصوات سمًاه (سرّ صناعة الإعراب)؛ فكانت نظرته في دراسة الأصوات نظرة علميّة دقيقة؛ إذ جمع بين الجانب النظري والجانب العملي التطبيقي، فقد تكلّم على الصوت بكلمات علميّة لها مفهومها المحدّد، فضلًا عن تناوله الأصوات العربية من معظم جهاتها وائتلافها في تركيب الألفاظ.

ومن بعد هؤلاء أخذ العلماء في دراسة الأصوات من خلال بحوثهم في الموضوعات اللغوية؛ إذ اهتمّ بها الصرفيون؛ لأنهم يعلّلون لبعض الصيغ التي تدخل الأصوات في نطاق دراستها، كالإبدال الصرفي والإعلال والإدغام والحذف والإمالة وغيرها من المسائل التي كانت تدخل مادّة الصرف على الرغم من كونها صوتية. وكذلك المعجميون الذين تناولوا هذا الجانب؛ لأنه داخل في نطاق دراستهم. ويكفي مثالا على ذلك مقدمة الخليل المهمة ومقدمة ابن دريد في الجمهرة.

**علم المعاجم**: كما رأينا سابقا فقد بدأت البحوث اللغوية في اللغة العربية في أوّل الأمر في صورة رسائل لغوية، عمدت إلى جمع الألفاظ العربيّة، وكانت حركة جمع اللغة دائبة، برحلة الرواة إلى البادية وسماعهم عن العرب، وارتحال الأعراب من البادية إلى الحواضر كالبصرة والكوفة وبغداد ليؤخذ عنهم. وكان الجمع يتمّ بطريقة عفوية وغير منظّمة، فتكوّن لدى علمائنا منجمٌ لغويّ من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن الشعر العربيّ، إضافة إلى ما جمعوه مشافهة من أقوال عرب البادية ومن المرتحلين منهم إلى الحواضر؛ الأمر الذي دعاهم إلى تنظيم هذا الشّعث المتناثر، وضمّ بعض المتشابه لفظًا أو معنى إلى بعضه الآخر، واجتهدوا في بيان معاني المفردات واستعمالها لدى العرب، وبذلوا في ذلك جهودًا منقطعة النظير.

وقد تمخّضت عن هذه الحركة الدؤوب أن ظهر ما يسمّى الرسائل اللغويّة بصورتها العمليّة؛ فهي أعمال معجميّة تطوّرت تدريجيًّا حتّى أصبحت تيّارًا قويًّا ورئيسًا في الدراسات اللسانية عند العرب، ومن هذه الرسائل ما كانت في غريب اللغة والقرآن الكريم والحديث الشريف ممّا استغلق فهمه، ولعلّ أوّل من عزي إليه التأليف في غريب القرآن الكريم هو عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه (ت 68 هـ) ثمّ تقفّى أثره مِن بعده علماء مثل: اليزيديّ (ت 202 هـ) وابن قتيبة (ت 276 هـ) وثعلب (291 هـ( ورسائلهم كلّها ضاعت إلا كتابي معمر بن المثنى وابن قتيبة.

ثمّ بعد ذلك ظهرت المعاجم التي جمعت المفردات بنظام خاصّ وترتيب معيّن، وقد قام بأول خطوة وأهمها في هذا الباب الخليل بن أحمد في محاولته ضبط اللغة وحصر ألفاظها في معجم شامل يستوعب الواضح والغريب ويميّز المستعمَل من المهمَل من مفردات اللغة، وقد رتّبه حسب مخارج الحروف، مستهلًّا بحرف العين، وأطلق عليه معجم العين.

وظهرت طريقة ثانية في ترتيب المعجم وكانت تتّبع ترتيب الكلمات ترتيبًا ألفبائيًّا حسب حروفها الأصليّة الأولى، وأوّل من عرف هذه الطريقة واستعملها هو عمر الشيبانيّ في كتابه الجيم أو كتاب الحروف، غير أنه لم يلتزم في ترتيبه هذا إلا بالحرف الأول دون الثاني فالثالث، وأهمل ذلك بالنسبة إلى بقية حروف الكلمة. وتوالت بعد ذلك طرائق اخرى في المعاجم.

**البلاغة سِيْمَا العربِ** :

ابتدأ البحث البلاغيّ منذ ابتداء التأليف في العلوم الإسلاميّة في منتصف القرن الثاني الهجريّ، وقدّ مرّ بمراحل طويلة. وكان الباعث لدراسة البلاغة هو فهم القرآن الكريم؛ بعد أن اتّسعت الفتوحات الإسلاميّة، واستوعبت الوافدين من غير العرب، وقد ألّف أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) كتاب مجاز القرآن، وقد كان من أوسع أهل البصرة علمًا باللغة والأدب والنحو وأخبارها وأيامها؛  فكتاب أبي عبيدة ليس كتابًا بلاغيًّا، بل هو كتاب في التفسير؛إذ فسّر فيه الألفاظ القرآنية بما ورد مثلها في كلام العرب، وفي معرض تفسيره لآيات القرآن الكريم نَثَرَ بعض الملحوظات البلاغية، وأشار إلى بعض مسائلها، كالإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير دون تسمية لها، كما أشار إلى خروج بعض الأساليب الإنشائيّة عن دلالتها الأصلية إلى بعض المعاني كالاستفهام والأمر والنهي، كما تحدّث عن الالتفات والتشبيه، وتعرّض للمجاز العقليّ من غير تسمية له، وإنّما أشار إلى بعض شواهده التي أفاد منها البلاغيون فيما بعد.

ثمّ جاء القرن الثالث للهجرة، فكثرت الفرق الإسلامية واشتدّ الخلاف فيما بينها، وأخذ الإسلام وكذلك العرب يواجَهان بحملة تشكيك وطعن، واتّجهت أنظار الطاعنين نحو القرآن ترميه باللحن وفساد النظم، فانبرى العلماء يدافعون عن العرب والإسلام، ومن بين هؤلاء المدافعين الجاحظ ُالذي ألّف كتابه (البيان والتبيين) والذي نافح فيه عن العرب بسبب حملة الشعوبيّين، وفي هذا الكتاب أشار إلى بعض الفنون البلاغية كالاستعارة والتشبيه والكتابة والإيجاز والإطناب.

ولعلّ اكتمال صرح البلاغة الباسق كان على يد عبد القاهر الجرجانيّ الذي وضع نظريّتي علم المعاني وعلم البيان في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

وقد قعّدت علوم البلاغة وقنّنت ببزوغ السّكاكيّ (ت626 هـ) الذي كان مهتمًّا بالفلسفة والمنطق، وقد غلب عليه في أثناء تقعيد البلاغة الطابع المنطقي؛ فأصبحت قوانينَ وقواعدَ صيغت في قوالب منطقيّة جافّة باعدت بينها وبين وظيفتها من إرهاف الحسّ وإمتاع النفس وتربية الذوق وتنمية الملكات